المكان والمصطلحات المقاربة له - دراسة مفهوماتية

د. غيداء أحمد سعدون شلاش

كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

تاريخ تسليم البحث: 2010/1/14 ؛ تاريخ قبول النشر: 2011/5/12

ملخص البحث:

إن لغتنا العربية لغة وجود يتجسم بوجود الإنسان وتطوره ، تتفاعل دوماً بذاتها أو مع غيرها لتنتج لنا مفرداتها الحية الكثير مما يحتمل التأويل ويفي بالمعنى المطلوب ...

ولكن تلك الحيوية قد توقع الدارسين باستخدام مفردة بدل أخرى دون الوقوف عند لغتها ومفهومها بشكل صحيح ، وهذا ما لمسناه ونحن نحاور مصطلح المكان وما كتب عنه ، مما دعانا إلى الوقوف عنده وعند المصطلحات الأخرى المتعلقة به تعلق مرادفة أو احتواء أو مقاربة مثل : الامتداد ، والبيئة ، والحيز ، والخلاء ، والفسحة ، والفضاء ، والمحل ، والموضع وغيرها مما أشار إليه سابقونا في محاولة لمحاورتها محاورة مفهوماتية .

The Place and its Related Terms – A Conceptual Study

Lect. Dr. Ghaida Ahmed Saadoun
College of Education for the female

Abstract:

Our Arabic language is the language of being which is resembled by the human being , and his development .

It always interacts with itself and other languages to produce its new vocabulary which can be possible to explain and give the demanded meaning , but this vitality may cause students to use one vocabulary instead of another without looking up into its real meaning .

This is what we have found when we have dealt with the term of place and what is written about it , which requires studying its meaning and other terms which are considered its synonyms , containment, or other related terms such as (AL - imtidad) the part of a place , (AL – biaa') the environment , (AL - hayyiz) the room , (AL – khalaa') the empty place, (AL - fusha) the wide , (AL - fadha) the space , (AL - mahal) the residence , (AL – mawthi') the location and others , which old linguists have studied in an attempt to indicate their concepts .

المقدمة

لاسبيل لهذه الأمة إلى ثقافة منظمة منفتحة على نفسها ومن ثم منفتحة على غيرها من الثقافات إلا إذا كان هناك انسجام في طريقة دراسة العلم الجديد وفهم متقارب للجديد فيه ، ولا يتم ذلك الأنسجام إلا إذا عدنا إلى مفرداتنا نميّز بينها لنقضي على الفوضى التي يشكو منها أبناء العربية ، وذلك ليس هوى أو رغبة وإنما هو ضرورة تحفزنا إلى تحقيقها غاية تتصل بهوية هذه الأمة وإشاعة العلم الجديد ليكون لها مكانها الخاص في هذا العالم المتطلع إلى مستقبل أفضل .

ولكن كيف نضع المشكلة في وضعها الصحيح ؟ الجواب يتطلب أن نتفق على فهم مشترك للمفردة ومجازاتها ، وهذا ما عنيت به مجامع اللغة العربية كما عني به أهل الاختصاص ، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن لطبيعة المجتمع الساكن في زمكانٍ ما مقتضياته اللسانية والمفهوماتية ، وليست العربية بدعاً بين اللغات ، ذلك أن اللغات كافة تخضع لسنّة التطور وأن الكلمة في كثير من اللغات تتطور بتطور الزمان وربما اكتسبت خصوصيات معنوية قد يتصورها البعض بعيدة قليلاً أو كثيراً عن الأصل .

فكان لابد أن نعني بهذه الناحية ونثبت مفاهيم عدد من الألفاظ في العربية التي اقتضتها الدراسات اللغوية والأدبية الحديثة . وقد شد انتباهنا ونحن نتقصى لفظة المكان أن هناك الكثير من المصطلحات المقاربة لها يتعلق ذكرها بلفظة (المكان) تَعلّق مرادفة أو احتواء أو مقاربة في المفهوم ، منها : الامتداد ، والبيئة ، والحيّز ، والخلاء ، والفسحة ، والفضاء ، والمحل ، والموضع وغيرها مما أشار إليه سابقونا بلمحات سريعة غير ملمّين بمفاهيم كثير منها ، ولنبدأ أولاً بمفهوم المكان ثم نستعرض بعدها المفاهيم الأخرى .

- مفهوم المكان :

لننطلق أولاً من القرآن الكريم في محاولة للوقوف على مفهوم هذه اللفظة لغوياً ، إذ وردت في ثمانية وعشرين موضعاً[1] ، تحمل دلالات ومعاني متنوعة ، ومنها ما يأتي :

1. منها ما يدور حول معنى (الموضع) أو (المحل) ، كقوله تعالى : ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِن أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**﴾[2] أي موضعاً أو محلاً شرقياً عن أهلها أو عن بيت المقدس[3] .

---

[1] ينظر : المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته ، جمعه ودقّقه : محمد فارس بركات ، 458 .

[2] سورة مريم / الآية 16 .

[3] تفسير النسفي : للإمام أبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي ، ج3 / 31 ؛ تفسير الجلالين : للإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ، 397 .

2. ومنها ما جاء بمعنى (بدل) ، مثل قوله تعالى : ﴿**قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1] ، و(مكانه) هنا تعني : بدلاً منه[2] .

3. بينما وردت في مواضع أخرى بمعنى (المنزلة) ، كما في قوله تعالى : ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا**﴾[3] ، وشرٌمكانا : أي مَنزلة[4] .

وبذلك فان : (الموضع أو المحل ، وبدلاً من ، والمنزلة) هي من أبرز المعاني المذكورة للمكان في القرآن الكريم .

أما في المعاجم اللغوية العربية فقد ذكر الخليل (ت 175 هـ) ان المكان " في اصل تقدير الفعل مَفْعَل لأنه موضع للكينونة "[5] ، فركّز على معنى (الموضع) دون باقي المعاني .

أما ابن دريد (ت321هـ) فقد توسّع في عرض مفهوم (المكان) من وجهة نظر أخرى، وتحت مادة (كَمن) وليس (مَكن) ؛ فقال : " (كمن الشيء في الشيء) ، وكَمَن يكمُنُ كُموناً إذا توارى فيه ، والشيء كامِنٌ ، ومنه سمي الكمين في الحرب ، وكل شيء استتر بشيء ، فقد كَمن فيه ... والمكان مكان الإنسان وغيره ، والجمع أمكنة ، ولفلان مكانة عند السلطان أي منزلة ، ورجل مكين من قوم مُكناء عند السلطان "[6] . وبهذا يكون ابن دريد قد عدّ لفظة (المكان) محتواةً في مادة (كمن) الدالة على الإحاطة والإستتار فأشار إلى المفهوم الواقعي لها ، ثم أشار إلى المفهوم المجازي بدلالتها على المنزلة العالية ضمن لفظة (مكانة) .

في حين ردد أبو منصور الأزهري (ت370 هـ) ما قاله الخليل في المفهوم اللغوي للفظة وضمن الجذر اللغوي لـ (مكن) ولم يأتِ بدلالة جديدة لها[7] .

وذكر الجوهري (ت393 هـ) ان (المكان) : " المَوضِع ، والجمع أمكنة ، كَقَذالٍ وأقذِلَةٍ ، وأماكِنُ جَمْعُ الجَمْعِ "[8] .

---

[1] سورة يوسف / الآية 78 .

[2] تفسير الجلالين ، 315 .

[3] سورة مريم / الآية 75 .

[4] تفسير النسفي ، ج3 / 44 .

[5] كتاب العين ، مادة (مكن) .

[6] كتاب جمهرة اللغة ، مادة (كمن) .

[7] ينظر : تهذيب اللغة ، مادة (مكن) .

[8] الصحاح في اللغة ، مادة (مكن) .

وقد سار اللغويون اللاحقون على هدي أولئك السابقين في المفهوم اللغوي للفظة (المكان) ، كابن فارس (ت 395هـ) ، وابن منظور (ت 711هـ) ، والفيروز آبادي (ت 817هـ)[1] .

إلا أن الزبيدي (ت 1205هـ) جاء بمفهوم أوسع للفظة معتمداً على آراء المتكلمين مفاده أن " المكان الموضع الحاوي للشيء ، وعند بعض المتكلمين انه عرض ، وهو اجتماع جسمين حاوٍ ومحوي ، وذلك ككون الجسم الحاوي محيطاً بالمحوي . فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين ، وليس هذا بالمعروف في اللغة "[2] . وبهذا قرّب الزبيدي المفهوم اللغوي للمكان من المفهوم الاصطلاحي له . في حين نلاحظ أن اغلب المعاجم اللغوية الحديثة لم تركّز على ما ذكره الزبيدي ؛ ولعلّ ذلك يرجع إلى عدّه من اختصاص الاصطلاحيين ، في حين اهتمت بنقل ما ذكره اللغويون السابقون[3] .

أما المكان اصطلاحاً:

ففي محاولة للوصول إلى المفهوم الاصطلاحي للفظة (المكان) ، سنسير مع النقد الأدبي الحديث في كونه اصبح يستمد ما يستعين به في الحكم والتفسير والتقدير والتوضيح والتحليل من كل ميادين المعرفة كالفلسفة والعلوم البحتة والموضوعات الجغرافية وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها ، ثم يحاول تسليط هذه المعارف على الأدب[4] .

فكلمة (المكان) لها الكثير من الدلالات ، وقد اقتحمت العديد من الميادين المعرفية فقد وجدت هذه اللفظة صداها في مختلف الميادين العلمية والأدبية متفقين أو مختلفين في مفهوماتهم لها عما توصل إليه السابقون ، ومؤكدين على أحد مدلولاتها فيما يتعلق بذلك العلم ؛ **فعلماء الفيزياء** مثلا أكدوا على كون المكان متحركا ، وذلك خلاف نظرية أرسطو فيه ، واثبت هذا الرأي كل من نيوتن واينشتاين . كما أكد اينشتاين على نسبيته[5] ، وعدّه أيضا غير ثابت لإمكان

---

(1) ينظر تباعا : معجم مقاييس اللغة ، مادة (مكن) ؛ لسان العرب المحيط ، مادة (مكن) ؛ القاموس المحيط، مادة (مكن) .

(2) تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (مكن) .

(3) ينظر على سبيل المثال :

- قطر المحيط : بطرس البستاني ، مادة (مكن) .
- المنجد في اللغة والأدب والعلوم : لويس معلوف ، مادة (مكن) .
- البستان : عبد الله البستاني ، مادة (مكن) ؛ المعجم الوسيط : قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون ، مادة (كون) و(مكن) .

(4) فن الشعر : د. إحسان عباس ، 174 .

(5) العلم فلسفة 162 – 163 .

تأثره بالجاذبية ، ولتغيّر طوله عن طريق تغيّر سرعة الجسم بالنسبة للمراقب[1] . وبهذا يكون (المكان) عند الفيزيائي ذاتياً لا واقعياً ، وهذا خلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين[2] .

أما المكان **هندسيا** فهو : " وسط غير محدود يشتمل على الأشياء" ، وهو متصل ومتجانس لا تميّز بين أجزائه ، وذو أبعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع ....وإذا جمع بين الزمان والمكان في تصور واحد نشأ عنهما مفهوم جديد هو المكان الزماني ، وله أربعة أبعاد هي الطول والعرض والارتفاع والزمان "[3] .

ولم يكن اهتمام **الجغرافيين** بالمكان أقل من اهتمام غيرهم ، حتى أن الأمريكي الكبو عرّف الجغرافية على أنها : " علم المكان من حيث خصائصه وعلاقاته "[4] ، كما عرّفها دولا بلاش زعيم المدرسة الجغرافية الفرنسية على أنها : " علم المكان لا الإنسان "[5] . وعموماً فان الجغرافيين وإن اختصوا بدراسة المكان ، لكنهم عنوا من خلاله بدراسة متعلقاته أو (المحتوى المكاني) على حد تعبير مكارتي ولندربج[6] . مما أدى إلى شيوع استخدام مصطلح (البيئة الجغرافية) اكثر من (المكان الجغرافي) لما يتلاءم ومفهومه المتعلق بالموجودات المكانية .

وكما أن للجغرافية حظوة في استخدام لفظة المكان ، فكذلك **للتاريخ** حظوة في استخدامه أيضا ؛ إذ أنّ المكان هو " الجغرافية والتاريخ معاً ، أو بتعبير أدق انه الجغرافية مسكونة بالتاريخ "[7] . وبذلك تُدرَك العلاقة بين التاريخ والمكان من خلال صلتها بجغرافيته.

---

(1) الفضاءات الداخلية للاستكشافات الباراسيكولوجية للعقل : د. هاوارد ايزنبرغ ، ترجمة : د. الحارث عبد الحميد واسيل عبد الرزاق ، 22 .

(2) ينظر : نشأة الفلسفة العلمية : هانز ريشنباخ ، ترجمة : د. فؤاد زكريا ، 128 .

(3) المعجم الفلسفي ، 191 .

(4) الجغرافية موضوعها ومناهجها وأهدافها : د. صفوح خير ، 54 .

(5) نفسه .

(6) الجغرافية موضوعها ومناهجها وأهدافها ، 52 .

(7) (جماليات المكان الدمشقي – رواية (حسيبة) لخيري الذهبي نموذجا) : شوقي بغدادي ، مجلة عمّان ، ع33 ، كانون الثاني 1998م ، 5 .

وكذلك الحال بالنسبة **لعلم الاجتماع** ، حتى أن ابن خلدون قد وضع خصائص للمكان يجب مراعاتها عند إقامة أية مدينة من حيث صحة إقامتها وملاءمتها للمعيشة الإنسانية[1] . كما عرّف عالما الاجتماع ستوكولز وشوماخر (المكان) بوصفه السياق الجغرافي والمعماري للسلوك[2] ، كما عدّ علم الاجتماع (المكان) امتداداً للجسد ، ومعبّرا عن قاطنيه ، فوصف المرء للأماكن وانتقاله عبرها يسمح له بالتعبير عن القيم الفردية والجماعية لقاطني تلك الأماكن ، ووصف حالتهم الاجتماعية[3] .

أما **علماء النفس** فيؤمنون بأن "حقيقة المكان النفسية تقول إن الصفات الموضوعية للمكان ليست إلا وسيلة من وسائل قياسية تسهّل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية "[4] .

وبهذا التقديم لمفهوم (المكان) تتضح أهميته وشيوع استخدامه لما له من مساس بوجود الإنسان ومتعلقاته الشيئية ، فضلا عن رؤيته الخيالية والذاتية ، فهو مفهوم متناوب بين الذاتية والواقعية في مجمل الميادين العلمية وإن رجّحت فيها النظرة المادية الواقعية له ، في حين يستقطب هذا المفهوم اهتمام دارسي الأدب كونه يعكس رؤية الأديب فضلا عن واقعية وجوده، لذا تميّز هذا المفهوم في الدراسات الأدبية بخصوصيات مهمة .

وقد اتخذ المفهوم الاصطلاحي للمكان بعداً فلسفياً مع الفلسفة اليونانية ، ويعد أفلاطون أول من صرّح به استعمالا اصطلاحياً ؛ إذ عدّه حاوياً وقابلاً للشيء[5] .

وبعد أفلاطون أخذ الاهتمام به يتزايد حتى عدّه أرسطو ثالث خمسة أشياء مشتملة على الطبائع كلها ، وهي : العنصر والصورة والمكان والحركة والزمان ، وعدّ المكان عرضاً لا جوهراً[6] . ويمكن أن يُسْتَنتَج مفهومه للمكان على أنه "الحدود الداخلية غير المتحركة للشيء

---

(1) ينظر : مقدمة ابن خلدون ، 272–277 ؛ (جغرافية المدن عند العرب) : عبد العال عبد المنعم الشامي ، مجلة عالم الفكر ، مج9 ، ع1 ، 1978م ، 123 وما يليلها .

(2) (الوعي بالمكان ودلالاته في قصص محمد العمري) : شاكر عبد الحميد ، مجلة فصول ، مج 13 ، ع4 ، 1995م ، 249 .

(3) نفسه ، 260 ؛ وينظر : فلسفة المكان في الشعر العربي – قراءة موضوعاتية جمالية : د. حبيب مونسي ، 9–11 ؛ جماليات المكان : مجموعة باحثين ، بحث : (مشكلة المكان الفني : يوري لوتمان ، ترجمة وتقديم : سيزا قاسم ، (المكان ودلالته) ، تقديم : سيزا قاسم) ، 59 .

(4) التفسير النفسي للأدب : د. عز الدين إسماعيل ، 67 .

(5) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، 19 .

(6) دائرة المعارف الإسلامية ، أصدرها بالعربية : احمد الشنتناوي وآخرون ، مج 10 / 383 .

المحتوى"[1] . فافترض بذلك وجود الشيئية لتحديد المكان الذي يحويها وعدّه غير متحرك . أما المكان عند اقليدس فهو ذو ثلاثة أبعاد هي : الطول والعرض والعمق[2] .

وكما شغل (المكان) فلاسفة اليونان ، فقد كان محطّ انشغال الفلاسفة العرب أيضا ، وقد صنّف حسن مجيد الربيعي آراءهم فيه – قبل ابن سينا – إلى اتجاهات ثلاثة هي :

الأول : يذهب إلى أن المكان (سطح الجسم الحاوي) ، وبه قال الكندي والفارابي واخوان الصفا وفلاسفة بغداد[3] .

الثاني : وهو معارض للأول ، وهو ما صرّح به أبو بكر الرازي ، إذ يرى أن المكان بعدٌ لا متناهٍ ، وقد ميز نوعين من الأماكن ؛ أولهما : الكلي أو المطلق ، وهذا يساوي الخلاء ، ولا يوجد فيه متمكّن . وثانيهما : المكان الجزئي ، وهذا ما لا يمكن تصوره بدون متمكن لكنه لا ينتهي بنهاية الجسم ، بل هو موسّع في الجهات[4] . وفي هذا دلالة متطورة للمكان تخرج عما كان عند عرب الجاهلية وصدر الإسلام ، إذ كان "المكان عندهم دوما هو مكان الشيء ، لا ينفك عن المتمكّن فيه حتى على صعيد التصور "[5] .

أما الاتجاه الثالث : فهو اتجاه ابن الهيثم الذي عارض فيه سابقيه ، في حين أيده به الفيلسوف ابن رشد ؛ إذ برهن على ما مفاده أن المكان : " هو النهايات المحيطة بالجسم الطبيعي "[6] ، كما عدّه " بُعداً متخيلا يحيط بالجسم ، تكون أبعاده وأبعاد الجسم واحدة "[7] . وهي مفاهيم متطورة تدل على عمق تفكير الفلاسفة العرب ؛ إذ إن "تحديد مفهوم المكان بهذه الصورة لم يتبلور في أوربا إلا في القرن السابع عشر الميلادي في عصر غاليلي وإسحاق نيوتن "[8] .

---

[1] (Physics) لارسطو ، عن (The Works of Aristotle) ، ترجمة : و. د. روس (نقلا عن العلم فلسفة – الصلة بين العلم والفلسفة : فيليب فرانك ، ترجمة : علي علي ناصف ، 161) .

[2] مدخل جديد إلى الفلسفة : د. عبد الرحمن بدوي ، 196–197 .

[3] نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، 179 .

[4] نفسه ، 38–39 ، 179 .

[5] بنية العقل العربي _ دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، 181 .

[6] (مشكلة المكان في فلسفة ابن رشد) : عبد العزيز لعمول ، مجلة فكر ونقد ، ع13 ، عن الانترنيت ، موقع : فكر ونقد الجابري : fikrwanakd-aljabriabed.net .

[7] نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : 40–42 ، 179 .

[8] (علم الحركة في التراث العلمي العربي الإسلامي) : د. يوسف محمود ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، ع39 ، س10 ، تشرين الأول 2002م ، 137 .

أما المكان عند ابن سينا فيعني : " السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي "[1] . وقد عدّ الشريف الجرجاني هذا التعريف للمكان مختصاً بالحكماء ، أما عند المتكلمين فيعني : " الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه الأبعاد "[2] .

وإذا كان ما تقدم ذكره يمثل آراء المتقدمين في المفهوم الاصطلاحي للمكان ، فقد وقف عنده كذلك الفلاسفة المحدثون ، مختلفين في مفهومه أيضا ، فعند ديكارت يمثل المكان : (الممتد في الأبعاد الثلاثة) ، وعند اسبينوزا ومالبرانش يمثل : (الامتداد غير المتناهي) ، أما عند ليبنتز فهو : (نظام للأشياء في معيتها وهو فكرة مضطربة ومجرد شيء ظاهر) ، وعند جون لوك هو : (فكرة لا محدودة) ، في حين أن المكان عند هيوم (مؤلف من آنات ولحظات ونقاط منفصلة) ، وعند كلارك كما عند أفلاطون (حاوٍ للأشياء مع إضافة خاصية أخرى هي اللاتناهي والأزلية والأبدية والقدم وعدم الفناء) .

أما في القرن التاسع عشر فقد ظهرت مفهومات جديدة للمكان ، إذ اثبت جاوس ، وريمن ، وهلموتز ، ويوليالي ، ولويشفسكي وغيرهم وجود مكان غير المكان الاقليدسي ، أي يمكن تصور أبعاد عديدة للمكان ، وأن المكان الاقليدسي ليس إلا واحداً منها[3]

وقد أفادت الدراسات الأدبية عموماً في تعاملها مع مفهوم (المكان) من مختلف دلالاته آنفة الذكر ، مسخّرة إياها لما يمكن أن يقود إلى تحليل النص والغوص في أعماقه لاستكشاف خباياه وشفراته .

وللمكان أهميته في الدراسات الأدبية متمثلة في زوايا متعددة الاتجاهات ، جعلت غالب هلسا يقول : " إن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته ، وبالتالي أصالته"[4]، كما نحا ياسين النصير هذا المنحى بقوله : " إن المكان دون سواه يثير إحساسا ما بالمواطنة ، وإحساسا آخر بالزمن والمخيلة حتى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه"[5]، كما حدد مسارات ثلاثة للأديب يجب أن يحتذيها حين يورد المكان في النص الأدبي ، هي : "أن يصبح مكان القصة أو القصيدة هوية تاريخية ووطنية ، وان يحمل طموحات الأديب الثقافية ؛ بان

---

[1] رسالة الحدود ، 94 (نقلا عن : المعجم الفلسفي . بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية : د. جميل صليبيا ، ج2 / 412) ؛ وينظر : نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، 59–179 .

[2] كتاب التعريفات ويليه بيان رسالة اصطلاحات رئيس الصوفية الواردة في الفتوحات المكية ، 184 .

[3] نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، 20 ؛ وينظر : المعجم الفلسفي ، ج2 / 412–413 ؛ مدخل جديد إلى الفلسفة ، 196 وما يليها .

[4] جماليات المكان : جاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، مقدمة المترجم ، 6 .

[5] إشكالية المكان في النص الأدبي ، 5 .

يجعله أمام امتحان ثقافي مع العصر ، وان يتحول – لدى الأديب – الفعل في المكان فعلاً في البحث عن الشخصية المستقبلية والمتطلعة إلى الواقع"[1].

وفضلا عمّا تقدم ، فإنَّ للمكان أهمية بوصفه ملموساً ؛ إذ باستطاعة الأديب أن يوظفه لتجسيد الأفكار والرموز والحقائق المجردة ، وبالتالي تقريبها من الواقع[2] .

كما أن للمكان في العمل الأدبي وظيفة أخرى تتمثل في إغناء الأوصاف والصور الأدبية ، بشرط أن يكون نقل البصري فيها نقلا جمالياً مشحوناً بالمعاني تترادف بداخله الحقائق والخرافات فتتشظى فيه الدلالات حسب النسق الفني الذي يندرج فيه ، فيُنقَل بذلك المكان الواقعي إلى أدبي من خلال العلاقات المكانية القائمة على اللغة بين الذات الواصفة (أو المؤلف) ، والحدث الموصوف[3] .

كما أكد العديد من الباحثين على أن أهمية المكان الفني في العمل الأدبي تكمن في تكوين حالات نفسية خاصة داخلنا ، وذلك من خلال جعله ساحة للأحداث تتقدم من خلاله الصور والشخصيات ، فيصور الواقع أو الخيال الفكري بإنتاج فني يحفّز القارئ أو المتلقي على مواصلة القراءة[4] ، وقد تؤدي القراءة التأويلية حسب غوميرس إلى تحويل " الوقائع أو وقائع

---

[1] إشكالية المكان في النص الأدبي ، 16 .

[2] بناء الرواية – دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ : د. سيزا احمد قاسم ، 74 ؛ وينظر : التفسير النفسي للادب : د. عز الدين اسماعيل ، 67 ؛ النقد التطبيقي والتحليلي : عدنان خالد عبد الله ، 82 ؛ جماليات المكان : مجموعة باحثين ، بحث (جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور : مدحت الجيار) ، 22 .

[3] شعرية التأليف – بنية النص الفني وأنماط التشكيل التأليفي: بوريس اوسبنسكي ، ترجمة : سعيد الغانمي وناصر حلاوي ، 69 ؛ فلسفة المكان في الشعر العربي . قراءة موضوعاتية جمالية : د. حبيب مونسي، 65-66 .

[4] ينظر : بناء الرواية 76 ؛ جماليات المكان : مجموعة باحثين ، بحث (مشكلة المكان الفني) ، 68 ؛ (الوعي بالمكان ودلالاته في قصص محمد العمري) : شاكر عبد الحميد ، مجلة فصول ، مج13 ، ع4 ، 1995م ، 249 ؛ (من المكان إلى المكان الروائي) : خالد حسين حسين ، مجلة المعرفة السورية ، س39 ، ع442 ، 2000م ، 151 .

الحال إلى قضايا متباينة ومختلفة فيما بينها "[1] ، كما أن ذكر المكان في النص الأدبي كثيرا ما يوحي بشخصية قاطنيه لتأثيره وتأثره بوجودهم[2] .

نستنتج مما تقدم أن أهمية المكان في النص الأدبي ليست في ذاته وإنما بما يؤديه من وظائف يسخرّها الأديب لخدمة مبتغاه .

وللمكان في الدراسات الشعرية – من تلك الدراسات الأدبية – خصوصية مميزة ؛ إذ أن بيت الشعر ومتعلقاته الاصطلاحية مستمدة في أغلبها من متعلقات مكانية ؛ فقد نقل المرزبائي عن الخليل بن أحمد الفراهيدي تصريحه بذلك في قوله : "رَتَّبتُ البيت من الشِّعر ترتيب البيت من بيوت الشّعْر – يريد الخباء – "[3] .

وقد أصبحت طريقة الخليل هذه في عقد الصلة بين البيت الشعري ومتعلقات الخيمة سِنَّة يستوحي منها النقاد والأدباء مصطلحاتهم الشعرية[4] .

وقد تنبه النقاد العرب القدماء إلى تأثر الشعر بالمكان الذي يقطنه قائلوه ، وفي مقدمة اولئك النقاد : ابن سلام الجمحي (ت 232هـ) ، والجاحظ (ت 255هـ) ، وابن قتيبة (ت276هـ) ، وابن طباطبا (ت 322هـ) ، وأبو الفرج الاصبهاني (ت 356هـ) ، والقاضي الجرجاني (ت 392هـ) ، والثعالبي (ت 429هـ) ، وابن رشيق القيرواني (ت456هـ) ، وغيرهم من النقاد في البلاد العربية[5] .

---

[1] نفلا عن : (تمثيل الواقع وإشكالاته المنطقية والجمالية) : عز العرب لحكيم بناني ، مجلة المناهل ، المغرب ، ع62 و63 ، ماي 2001م ، 35 ؛ وينظر : (جماليات المكان – الأندلس في الشعر العربي الحديث – قراءة أولى) : اعتدال عثمان ، مجلة البيان ، الكويت ، ع238، كانون الثاني 1986م ، 87 .

[2] ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق . (2) الوصف وبناء المكان : د. شجاع مسلم العاني ، 21 ؛ المكان في شعر الحرب : محمد صادق جمعة إبراهيم ، (رسالة ماجستير) ، 17–19 .

[3] الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء : أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، 20 .

[4] ينظر : فن التقطيع الشعري والقافية : د. صفاء خلوصي ، 26–27 ؛ تاريخ النقد الأدبي عند العرب – نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري : د. إحسان عباس ، 47 .

[5] ينظر على الترتيب :

- طبقات فحول الشعراء ، شرح : محمود محمد شاكر ، 40–48 .
- كتاب الحيوان ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ج4 / 380–381 .
- الشعر والشعراء ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، ج1 / 20 .
- عيار الشعر ، تحقيق وتعليق : د. محمد زغلول سلام ، 48 .
- كتاب الأغاني ، ج2 / 2–3 وج4/ 136–137 ، وقد أسهب أحد الباحثين في الحديث عن اهتمام الاصبهاني بمدى تأثر الشعر بالمكان الذي يقطنه قائلوه (ينظر : الملامح البيئية في النقد العربي –

وكذلك الأندلسيون فقد كان لهم اهتمام بتسليط الأضواء على تأثّر الأدب بالمكان ، وذلك لمحاولتهم الدفاع عن الأدب الأندلسي وإثبات أصالته وبراعته . ومن أبرز هؤلاء ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ) الذي كتب رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها واضعاً فيها عدداً من شعراء بلاده في مصاف مشاهير المشارقة[1] . وابن بسام الشنتريني (ت 542هـ) الذي قسّم الشعر إلى بيئات حسب الأماكن التي يقطنها قائلوه أو ينتقلون إليها ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه[2] .

ومن هؤلاء أيضا الشقندي (ت 629هـ) الذي كتب رسالة يبين فيها فضل أهل بلاد الأندلس ، ذاكراً ابرز شعرائها ومستشهداً بمقاطع من أشعارهم[3] . كما اهتم بهذا المجال أيضا ابن دحية الكلبي (ت 633هـ) ، وابن سعيد المغربي (ت 685هـ)[4] .

إلا أن جميع ما تقدم ذكره من كتب نقدية . وان وقفت عند تأثر الشعر بالمكان . لم تفرد دراسة تحليلية لذكر المكان في الشعر ، على خلاف الدراسات الحديثة التي كانت هي الأخرى والى وقت قريب غير معنية بتخصيص مقاربات وافية ومستقلة له[5] ؛ إذ إنّ كتاب (الإنسان وعالم المدينة في الشعر العربي الحديث) للدكتور مناف منصور ، الذي صدر عام (1978م)

قراءة جديدة للنقد القديم : محمد خير شيخ موسى ، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثاني ، الدار البيضاء ، ع1 ، 1984م ، 119–120 و 125–138) .

- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، 17 – 18 .
- أما عن الثعالبي فقد أشار الدكتور إحسان عباس إلى انه أول من التفت إلى تأثر الشعر بالمكان الذي يقطنه قائلوه (تاريخ النقد الادبي عند العرب ، 493) . لكن ما تقدم من ذكر السابقين للثعالبي واهتمامهم بأثر المكان على شعر الشاعر يفنّد هذا الرأي .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج202/1 .

[1] ينظر : فضائل الأندلس وأهلها : ابن حزم ، وابن سعيد ، والشقندي ، تقديم : صلاح الدين المنجّد ، 4–21 ؛ تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة : د. إحسان عباس ، 368 .

[2] ينظر : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : د. إحسان عباس ، مج1 / ق1 / 12–32 .

[3] ينظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب : احمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي (ضمنه : رسالة الشقندي في فضل الاندلس والأندلسيين) ج4 / 27–55 ؛ فضائل الأندلس وأهلها ، 29–60 .

[4] ينظر : كتابيهما على الترتيب : المُطرِب في أشعار أهل المغرب ؛ والمُغرِب في حُلى المَغرب ؛ وينظر : تذييل أبن سعيد على رسالة ابن حزم في (فضائل الأندلس وأهلها) ، 22–28 .

[5] (تشكيل الفضاء في المتخيّل الروائي) : عواد علي ، مجلة عمّان ، ع39 ، أيلول 1998م ، 32 ؛ (تجليات المكان في القصة العمانية – مقاربة موضوعاتية) : شريفة خلفان اليحيائي ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، ع86 ، س22 ، ربيع 2004م ، 12 .

يعد أقدم ما وقع بين أيدينا في دراسة متخصصة لموضوع المكان في الشعر العربي، ولا نستبعد أن يكون مؤلفه المدرس في جامعة السوربون[1] قد تأثر بآراء المفكر باشلار ؛ إذ " إن المكان بقي مفتقراً إلى من يصفه ويوضحه بشكل واسع وبعيد عن الأفكار الفلسفية المتصلبة ، إلى أن جاء المفكر والفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار الذي اهتم بدراسة المكان بوصفه ظاهرة إبداعية "[2] ، علماً أن تاريخ تقديم اتيان جلسون لكتاب (جماليات المكان) لباشلار كان في (آب 1963) . وقد صدر بترجمة غالب هلسا عام (1980) ، كما نشر هلسا مقالاً لباشلار بترجمته أيضا بعنوان (جماليات المكان في الشعر) عام (1979) ضَمَّن فيه آراء باشلار عن المكان ، وأُريد به المكان الأوربي ومحاولته جعله عالمياً ، ثم وصل غالب هلسا إلى خصوصية المكان في الأدب العربي مختاراً له بضعة نماذج[3] .

هذا وان كمال أبو ديب أيضا قد أشار في أحد كتبه الصادرة عام (1979م) إلى المكان والزمان وأهمية دراستهما في بنية القصيدة[4] .

وبعد هذه الأعوام بدأ الاهتمام يزداد بدراسة المكان في الشعر العربي ، إذ صدر عام (1980) كتيب لياسين النصير بعنوان (الرواية والمكان)، وفي عام (1982) كتاب (الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره) للدكتور صلاح عبد الحافظ . وفي عام (1986) صدر كتاب (إشكالية المكان في النص الأدبي) لياسين النصيرأيضا . وفي العام ذاته نشرت اعتدال عثمان مقالة : (جماليات المكان) في مجلة الأقلام[5] ، كما نشرته أيضا بعنوان (جماليات المكان – الأندلس في الشعر العربي الحديث ، قراءة أولى) في العام ذاته في مجلة البيان[6]. ثم أعادت نشره في كتابها (إضاءة النص) ضمن المبحث الأول منه عام 1988 .

ثم لقي الموضوع اتساعاً واضحاً في مجال الدراسات الأدبية بعامة ، وقائمة المصادر والمراجع والدوريات والبحوث الجامعية في نهاية هذا البحث كفيلة بذكر العديد منها .

أما آليات تحليل ودراسة هذا الموضوع فقد اختلفت من باحث إلى آخر كل حسب منهجه وفكره ، غير خارجة عما يتعلق باللفظة المكانية ضمن البنية الكلية للنص الشعري ، كالطريقة

---

(1) ينظر : التعريف به على غلاف كتابه .

(2) المكان عند شعراء الغزل العذري في العصر الأموي : بشائر أمير عبد السادة الفتلاوي ، (رسالة ماجستير) ، 6.

(3) ينظر : مجلة الأقلام ، مج14 ، ع 10 .12 ، تموز 1979م ، 55 وما بعدها .

(4) ينظر : جدلية الخفاء والتجلي – دراسات بنيوية في الشعر ، 64–92 .

(5) ع2 ، شباط ، 76–103 .

(6) ع238 ، كانون الثاني ، 86–138 .

الإحصائية مثلا التي قد " تضع يدنا على بعض الترددات التي هي ذات مغزى "[1] ، فضلاً عن قراءة النص قراءتين تفسيرية وأخرى تأويلية[2] معتمدة على السياق العام ، أو اللفظة المفردة ، أو الأساطير القديمة أو غيرها وذلك لحل الرموز المكانية قدر الإمكان ، تلك الرموز التي كثيرا ما تكون مفاتيح لدلالاتٍ يتوارى خلفها النص تحتاج إلى من يفك الغازها .

هذا وان كنا لا ندعي الحياد عن مرجعية النص فيما يمكن أن يفيد التفسير أو التأويل في بعض الأحيان ، إذ لا بد أن يحكم الباحث على النص وبخاصة ذلك الذي بَعُدَ زمنه عن زمن تلقيه وفق مرجعيته وأيديولوجيته وثقافته غير ناءٍ عنها[3] . فضلاً عن اعتماد التقاطبات الثنائية للمكان بعدّها من ابرز آليات التحليل التي اعتمدتها الدراسات الأدبية والنقدية للوقوف عند (المكان) في النص الأدبي[4] .

وقد وقف الكثير من الباحثين عند أنواع الأماكن وتقسيماتها في الدراسات الأدبية ، وان كانت في اغلبها مختصة بالدراسات النثرية دون الشعرية فيما يتعلق منها بالقصة والرواية والمسرح[5] .

في حين وجدنا أن أكثر التنظيرات المكانية ملاءمة لدراسة المكان في الشعر كانت في تصنيف مول ورومير للمكان بحسب السلطة التي يخضع لها وذلك لإمكانية تمييز مثل هذه التصنيفات في النماذج الشعرية ، وفيما يأتي عرض لتلك التقسيمات التي ذكراها[6] :

---

[1] تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص : د. محمد مفتاح ، 60 .

[2] ينظر : التفريق بينهما في : نظرية المعنى في النقد العربي : د. مصطفى ناصف ، 165 ، وينظر في ضرورة القراءتين : جماليات المكان : باشلار ، 22 ؛ وفلسفة المكان في الشعر العربي ، 25 .

[3] ينظر :نظرية المعنى في النقد الأدبي ، 131 .

[4] ينظر على سبيل المثال : (الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا) ، الفضاء الشعري عند السياب : لطيف محمد حسن ، (أطروحة دكتوراه) ؛ المكان في الشعر العراقي الحديث (1968م–1980م) : سعود احمد يونس ، (أطروحة دكتوراه) .

[5] ينظر من تلك الوقفات :

- جماليات المكان : مجموعة باحثين ، بحث (مشكلة المكان الفني : يوري لوتمان ، التقديم له : المكان ودلالاته : سيزا قاسم) ، 59–67 .
- المكان في النص المسرحي : د. منصور نعمان نجم ، 18–154 .
- الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا : د. ابراهيم جنداري ، 216–217.
- القارئ والنص – العلامة والدلالة : سيزا قاسم ، 39–46 .

[6] ينظر Moles and Rohmer, Psychologie de Pespace, P. 21 : .

1. (المكان عندي) ويمكن أن يسمى بـ (المكان الشخصي) ، وهو الذي أمارس فيه سلطتي ، ويكون بالنسبة لي مكاناً حميماً أليفاً .
2. (المكان عند الآخرين) وهو مكان يشبه الأول في نواح كثيرة ولكنه يختلف عنه من حيث أنني – بالضرورة – اخضع فيه لوطأة سلطة الغير ، ومن حيث أنني لابد أن أعترف بهذه السلطة .
3. (الأماكن العامة) ، وهذه الأماكن ليست ملكًا لأحد معين ، ولكنها ملك للسلطة العامة (الدولة) النابعة من الجماعة .
4. (المكان اللامتناهي) ويكون هذا المكان – بصفة عامة – خالياً من الناس فهو الأرض التي لا تخضع لسلطة أحد ، مثل الصحراء والبحر وعالم الكواكب والنجوم .

ـ أما المصطلحات المقاربة للمكان من حيث المفهوم هي[1]:

1. الامتداد :

ويرجع إلى (المدة) وهي في اللغة " الغاية من الزمان والمكان "[2] ، وقد ورد مصطلحاً فلسفياً على انه : " جزء من المكان ، وهو متناه ، أما المكان فغير متناه "[3]. أما في الفلسفة الحديثة فيعد "(الامتداد جزءاً من المكان) كقولهم : الامتداد خط محدود ، أو سطح محدود ، أو حجم محدود ، وتكون نسبة الامتداد في هذه الحالة إلى المكان كنسبة المدة إلى الزمان "[4] .

2. البيئة :

وهي لغة من "أَبَأْتُ بالمكان : أقمت به"[5] ، أما اصطلاحاً ، فيختلف مفهومها باختلاف الميادين التي تستخدمها ؛ ففي ميدان العلوم البحتة هي – باختصار شديد – " القشرة الأرضية، والغلاف الحيوي "[6] . أما في ميداني علم الاجتماع وعلم النفس فتطلق اللفظة على " مجموع الظروف والعوامل الخارجية التي تعيش فيها الكائنات الحية ، وتؤثر في العمليات الحيوية التي

(نقلا عن : جماليات المكان : مجموعة باحثين ، بحث (مشكلة المكان الفني ، تقديم : سيزا قاسم له في . المكان ودلالاته) ، 61–62 ؛ وينظر : الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا ، 216–217 ؛ القارئ والنص ، 44–45 .

[1] متسلسلة حسب حروف الهجاء .

[2] لسان العرب المحيط ، مادة (مدد) .

[3] المعجم الفلسفي – بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية : د. جميل صليبيا ، ج1 / 132 .

[4] نفسه .

[5] لسان العرب المحيط ، مادة (بوء) .

[6] الإنسان والبيئة – منظومات الطاقة والبيئة والسكان : د. هاني عبيد ، 161 .

تقوم بها "[1] . وقد أشار الدكتور احمد الشايب إلى أن لفظة (البيئة) في الدراسات اللغوية والأدبية تدل على " مجموع العوامل المكانية والزمانية الأصلية أو الطارئة التي تتوافر في بقعة ما ، ويتكون منها جميعاً "[2] . فالبيئة بهذا الحد حاوية للمكان – بمدلوله الجغرافي – فضلا عن الزمان والتيارات الاجتماعية .

3. الحيّز :

وهذا أيضا من الألفاظ المرادفة أو المتعلقة بلفظة (المكان) التي حظيت باهتمام دارسي المكان في الأدب ، وهو في اللغة من " التَحوّز : التَّلَبُّث والتمَكُّث ... والحَوْزُ من الأرض أن يتخذها رجل ويبين حدودها فيستحقها فلا يكون لأحد فيها حق معه "[3] ، وبهذا فإن مصطلح الحيز مقتصر على ما تحدُّ له حدوداً مميزة ، وهناك رأي آخر يعد " الحيز : المكان، وهو مأخوذ من الحَوز أي الجمع "[4] . وبهذا أيضاً يشير الحيز إلى المكان المحدد لا المكان المطلق ، وإن كان يصعب تحديد أبعاده بالنسبة للإنسان[5] ، في حين خص ديكارت (الحيز) بالسطح الداخلي للجسم على خلاف الامتداد الذي يمثل السطح الخارجي له[6] .

ويرى الباحث كريم رشيد الذي حاول فك الاشتباك الاصطلاحي بين (المكان) و(الحيّز) أن الحيّز يشير إلى الصلة بين الأجسام داخل المكان ، وهو فراغ ذو ثلاثة أبعاد ليس كالمكان الممثل لسطح ذي بعدين[7] . بينما تذهب باحثة إلى مفهوم غريب للفظ الحيز بدلالته على " النتوء ، والوزن ، والثقل ، والحجم ، والشكل "[8] وهذا بعيد كل البعد عن المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظة .

4. الخلاء :

---

[1] مرجع في التعليم البيئي لمراحل التعليم العام : د. مصطفى عبد العزيز ، 15 .

[2] أصول النقد الأدبي ، 83 ؛ وينظر : المعجم الفلسفي ج1/ 221 .

[3] لسان العرب المحيط ، مادة (حوز) .

[4] المنجد ، مادة (حيز) .

[5] ينظر : جماليات المكان : مجموعة باحثين ، بحث (ظرف المكان في النحو العربي وطرق توظيفه في الشعر : احمد طاهر حسنين) ، 5 .

[6] المعجم الفلسفي ،ج1/ 133 .

[7] (المكان ، الفضاء ، الحيز – من اجل فك الاشتباك الاصطلاحي) : مجلة عمّان ، ع43 ، كانون الثاني 1999م ، 7 .

[8] (تجلّيات المكان في القصة العمانية – مقاربة موضوعاتية –) : شريفة خلفان اليحيائي : المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، ع86 ، س22 ، ربيع 2004م ، 14 .

وهو صفة من صفات المكان ، ففي اللغة : " خلا المكان والشيء يخلو خُلُوّاً وخَلاءً وأَخْلَى إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه "[1] . والخلاء عند الفلاسفة من " خلو المكان من كل مادة جسمانية تشغله "[2] . وبذلك يكون الخلاء صفة للمكان ، في حين يرفض ابن رشد اتصاف المكان بالخلو مُفرِداً لذلك بحثاً معمقاً[3] .

5. الفسحة :

لغة من " السَّعة ، فسُحَ المكان فساحةً وتفسَّح وانفسَحَ ، وهو فسيح وفُسْحٌ "[4] ، وهو ما ينصرف الاستعمال إليه في اغلب الأحيان ، بيد أن الباحث انطوان المقدسي يذهب إلى أن دلالة هذا اللفظ تقود إلى النظر للمكان وعلاقته مع ما يحيط به ، ذاهباً إلى " أن أول من انتبه إلى مفهوم الفسحة هم الجغرافيون عند انتقالهم في هذا القرن من الجغرافية الطبيعية المكانية إلى الجغرافية البشرية حيث تتحول الأشياء إلى علائق فيما بينها وبين البشر"[5] . وهو رأي غير مألوف يقترب من مفهوم لفظة البيئة اكثر من لفظة الفسحة .

6. الفضاء :

الفضاء في اللغة : " الخالي الفارغ الواسع من الأرض "[6] . أما في اصطلاح المحدثين فقد تجاوز معنى السعة والخلو للمكان[7] ؛ إذ استقصى الدكتور ابراهيم جنداري هذا المصطلح في الكتب اللغوية والفلسفية والأدبية والنقدية ، وخرج بحصيلة مفادها أن "الفضاء أداء يشتمل على المكان والزمان لا كما هما في الواقع ، ولكن كما يتحققان داخل النص مخلوقين ومحورين من لدن الكاتب ، ومسهمين في تخصيص واقع النص ، وفي نسج نكهته المميزة "[8] . ويختص هذا التعريف بالفضاء الأدبي – إن صح التعبير – ليتلاءم والسياق الذي ورد فيه .

---

[1] لسان العرب المحيط ، مادة (خلا) .

[2] المعجم الفلسفي ، 537 ؛ وينظر ، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا : حسن مجيد الربيعي ، 142 – 179 .

[3] ينظر : (مشكلة المكان في فلسفة ابن رشد) : عبد العزيز لعمول ، مجلة فكر ونقد ، ع13 ، عن الانترنيت، موقع : فكر ونقد الجابري : fikrwanakd .aljabiriabed.net .

[4] لسان العرب المحيط ، مادة (فسح) .

[5] (عندما يصير المكان فسحة) ، مجلة المسار التونسية ، ع24 و 25 ، جوان 1995م، 26 .

[6] لسان العرب المحيط ، مادة (فضي) .

[7] ينظر : (المكان ، الفضاء ، الحيز – من اجل فك الاشتباك الاصطلاحي) ، 7–8 .

[8] الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا ، 25 .

أما الدكتور عبد الرحيم مراشدة فقد استقصى مفهوم (الفضاء) في الفلسفة العربية وغير العربية ، وخرج بحصيلة مفادها انه مصطلح جامع لمفهومات المكان والزمان والخلاء والأبعاد جميعا[1] . فالمكان بهذا المفهوم جزء من الفضاء الشمولي ، وقد أشار إلى مثل هذا الرأي العديد من الباحثين غيره[2] .

7. المحل والموضع :

وهما لفظان مرادفان لـ (المكان) ؛ فالمَحَلّ لغة من " حَلَّ بالمكان يحُلّ حُلولاً ومَحَلاً ومحِلاً ... وهو نقيض الارتحال "[3] . والموضع لغة جمعه " المواضع ... واحدها موضع واسم المكان الموضِع والموضَع "[4] . أما اصطلاحا ، فلم يختلف استخدام هذين اللفظين عن استخدام لفظة (المكان) في الدراسات الأدبية – فيما قرأنا – حتى أن الدكتور محمد عابد الجابري قال : " المكان والموضع والمحل كلها بمعنى واحد "[5] .

وبهذا عرضنا لعدد من مفاهيم المصطلحات المقاربة للمكان فضلاً عن مصطلح المكان ذاته محاولين إثبات ما للغتنا العربية من طاقة وحيوية ، وامتلاكها القوة على الاشتقاق والبنية المتعددة التي تيسر لها معايشة الزمن الذي تعيش فيه ، ومازال فيها ذلك المعين الثر من معاني مفرداتها مايجعلها لغة العصر ، داعية الله أن اكون ممن أسهم بهذه المحاولة المتواضعة باستمرار وضع لغة القرآن على طريق الحياة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

---

[1] الفضاء الروائي – الرواية في الأردن نموذجاً ، 1–23 .

[2] ينظر على سبيل المثال : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي : حميد لحمداني ، 63 ؛ (تجليات المكان في القصة العمانية – مقاربة موضوعاتية) ، 14 .

[3] لسان العرب المحيط ، مادة (حلل) .

[4] نفسه ، مادة (وضع) .

[5] بنية العقل العربي – دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، 181 .

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

- اشكالية المكان في النص الأدبي: ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة،وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ط1 ،1986م.

_ أصول النقد الأدبي : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط 7 ، 1964م .

_ الإنسان والبيئة (منظومات الطاقة والبيئة والسكان) : د . هاني عبيد ، دار الشروق ، عمان – الأردن ،2000 م .

- البستان: الشيخ عبد الله البستاني اللبناني ، المطبعة الأميركانية ، بيروت ، (د.ط) ، 1927م.
- بناء الرواية(دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ): د. سيزا قاسم أحمد ، سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (د.ط) ، 1984م.
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق(2)الوصف وبناء المكان: د.شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة(آفاق عربية) ، بغداد ، ط1 ،2000م.
- بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية) : د. محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 5 ، 1996م .
- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي : حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1991م .
- تاج العروس من جواهر القاموس : السيد مرتضى الزبيدي ، مج9، دار صادر ، بيروت، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي ، (د.ط) ، 1386هـ–1966م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب(نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري) : د.إحسان عباس، (د.مط) ، بيروت ، ط2، 1398هـ–1978م.
- تفسير الجلالين : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مذيلاً بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، قدم له وعلق عليه : محمد كريم بن سعيد راجح، مكتبة النهضة ، بغداد ، (د.ط) ، (د.ت).
- تفسير النسفي : للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، (د.ط) ، (د.ت).
- التفسير النفسي للأدب : د. عز الدين اسماعيل ، دار العودة و دار الثقافة ، بيروت– لبنان، (د. ط) ، (د.ت) .
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(282هـ–370هـ) ، ج10، تحقيق الاستاذ: علي حسن هلالي، مراجعة الأستاذ محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب ، القاهرة، (د.ط) ، (د،ت).

- الجغرافيا موضوعها ومناهجها وأهدافها : د. صفوح خير ، دار الفكر المعاصر ، بيروت– لبنان ، دار الفكر ، دمشق –سوريا ، (د.ط) ، 1423هـ–2002م.
- جماليات المكان: جاستون باشلار، ترجمة :غالب هلسا، كتاب الأقلام(1)، يصدر عن مجلة الأقلام ، دار الجاحظ ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد، دار الحرية للطباعة ، (د.ط)،1980م.

_ جماليات المكان، مجموعة باحثين ،الناشر عيون المقالات ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1988م :

* بحث(جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور: مدحت الجيار).
* بحث(ظرف المكان في النحو العربي وطرق توظيفه في الشعر:أحمد طاهر حسنين) .
* بحث(مشكلة المكان الفني: يوري لوتمان ، ترجمة وتقديم سيزا قاسم (المكان ودلالاته)).

- دائرة المعارف الإسلامية يصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتاوي وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ، يراجعها : د. محمد مهدي علام، وزارة المعارف ، مج10، (د.مط) ، (د.ط) ، 1352هـ – 1933م.
- الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري(ت 276هـ)، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر، ط2، 1966م.
- شعرية التأليف(بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي): يوريس أوسبنسكي ، ترجمة: سعيد الغانمي ، وناصر الحلاوي، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ،طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأموية ، القاهرة ، (د.ط) ، 1999م.
- الصحاح في اللغة والعلوم ، تجديد صحاح العلامة الجوهري مع المصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية ، تقديم العلامة الجوهري مع المصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية ، تقديم العلامة : عبد الله العلايلي ، اعداد وتصنيف: نديم مرعشلي واسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية ، بيروت –لبنان، (د.ط) ،1974م.
- طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي (139هـ–231هـ) شرح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة، (د.ط) ، 1400هـ–1980م.
- العلم فلسفة – الصلة بين العلم والفلسفة : فيليب فرانك ، ترجمة : أ.د.علي علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1983م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني(ت456هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ط1 ، 1353هـ 1934م.
- عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي(ت322هـ)، تحقيق وتعليق : د. محمد زغلول سلام ، توزيع منشأة المعارف بالأسكندرية ، مطبعة التقدم ، (د.ط) ، (د.ت).

- الفضـــاءات الداخليـــة للاستكشـــافات الباراســـايكلوجية للعقـــل:د. هـــاوارد ايزنبـــرغ ، ترجمـــة: د.الحارث عبد الحميد وأسيل عبد الرزاق ، المراجعة العلمية:أ.د.عبد الأمير الأعسم ، بغداد، 2001م .
- الفضاء الروائي – الرواية في الأردن نموذجاً – د. عبد الرحيم مراشدة ، سلسلة كتب ثقافية ، وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية الهاشمية ، كتاب الشهر 34، (د.ط) ، 2002م .
- الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا : د.ابراهيم جنداري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2001م .
- فلسفة المكان في الشعر العربي – قراءة موضوعاتية جمالية : د. حبيب مونسي ، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001م .
- فـن التقطيـع الشـعري والقافيـة: د.صـفاء خلوصـي، مطـابع دار الكتـب، بيـروت–لبنـان ، ط1966،3م.
- فن الشعر : د. إحسان عباس ، الجامعة الأمريكية – بيروت ، دار صادر – بيروت ، دار الشروق ، عمان – الأردن ، ط1 ، 1996م .
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي ، موشى الحواشي بطراز الشيخ نصر الهوريني ، تصحيح: السيد مرتضى ، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- قطر المحيط: بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط) ، (د.ت).
- كتاب التعريفات ويليه بيان رسالة اصطلاحات رئيس الصوفية الواردة في الفتوحات المكية: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ،دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان ، ط1، 1424هـ – 2003م.
- كتاب جمهرة اللغة: ابن دريد ابو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري(ت 321هـ)، ج3، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد،أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ، بغداد ، ط1، 1345هـ.
- كتاب الحيوان: ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ج3 ، ط1 ، 1356هـ–1938م، ج4 ، ط1 ، 1359هـ–1940م.
- كتـاب العـين: ابـو عبـد الـرحمن الخليـل بـن احمـد الفراهيـدي(ت175هـ) ، تحقيق:د.مهـدي المخزومي ود.ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ج5، (د.ط) ،1982م.
- لسان العرب المحيط : لابن منظور ، قدم لـه : الشيخ عبد الله العلايلـي ، إعداد وتصـنيف : يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت ، (د. ت) .

- مدخل جديد الى الفلسفة: د.عبد الرحمن بدوي، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1975م.
- مرجع في التعليم البيئي لمراحل التعليم العام : د. مصطفى عبد العزيز ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة لشؤون البيئة ، 1976م .
- المرشد الى آيات القرآن الكريم وكلماته: عني بجمعه وتنسيقه وتدقيقه: محمد فارس بركات ، المكتبة الهاشمية ،دمشق ، ط2 ، 1377هـ–1957م.
- المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية) : د. جميل صليبيا ، الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، دار الكتاب المصري ، القاهرة .
- معجم مقاييس اللغة : ابو الحسين أحمد بن فارس (ت 395) ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت–لبنان ، (د.ط) ، 1979م.
- المعجم الوسيط: قام باخراجه: ابراهيم نصطفى وآخرون، المكتبة العلمية، طهران، دار احياء التراث العربي ، بيروت–لبنان ، ج4 ، (د.ط) ، (د.ت).
- مقدمة ابن خلدون ، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت 808هـ) ، دار العودة ، بيروت ، (د. ط) ، 1981م .
- المنجد في اللغة والأدب والعلوم : الأب لويس معلوف اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط17 ،(د.ت) .
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت384هـ)، وقف على طبعه واستخرج فهارسه:محب الدين بن الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها ن القاهرة ن ط2، 1385هـ.
- نشأة الفلسفة العلمية : هانز ريشنباخ ، ترجمة : فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط2 ، 1979م .
- نظرية المكان في فلسفة ابن سينا: حسن مجيد الربيعي، مراجعة وتقديم: د.عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط1، 1987م.
- النقد التطبيقي والتحليلي:عدنان خالد عبد الله، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1، 1986م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح: محمد ابو الفضل ابراهيم و علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتاب العربي ، القاهرة ، (د.ط) ، 1966م.

الدوريات :

_ تجليات المكان في القصة العمانية (مقاربة موضوعاتية): شريفة خلفان اليحيائي ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، ع 86 ، س 22 ، ربيع 2004م .
- تمثيل الواقع واشكالاته المنطقية والجمالية: عز العرب لحكيم بناني، مجلة المناهل ، المغرب، ع62و63 ، ماي2001م.
- جغرافية المدن عند العرب : عبد العال عبد المنعم الشامي ، مجلة عالم الفكر ، مج9 ، ع1، 1978م .
- جماليات المكان الأندلس في الشعر العربي الحديث _قراءة اولى: اعتدال عثمان ، مجلة البيان، الكويت، ع238، كانون الثاني1986م.
- جماليات المكان الدمشقي – رواية (حسيبة) لخيري الذهبي نموذجاً : شوقي بغدادي ، مجلة عمّان ، ع33 ، كانون الثاني ، 1998م .
- علم الحركة في التراث العلمي العربي الإسلامي: د. يوسف محمود، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع39،س10، تشرين الأول ، 2002م.
- عندما يصير المكان فسحة : انطوان المقدسي ، مجلة المسار التونسية ، ع 24و25 ، جوان، 1995م .
- المكان –الفضاء – الحيز –من أجل فك الاشتباك الاصطلاحي : مجلة عمّان ، ع43 ، كانون الثاني ، 1999م .
- الملامح البيئية في النقد العربي(قراءة جديدة للنقد القديم):محمد خير شيخ موسى ، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثاني ، الدار البيضاء ، ع1 ، 1984م.
- من المكان الى المكان الروائي : خالد حسين حسين ، مجلة المعرفة السورية ، س39 ، ع442 ، 2000م.
- الوعي بالمكان ودلالاته في قصص محمد العمري : شاكر عبد الحميد ، مجلة فصول ، مج 13 ، ع4 ، 1995م .

الأطاريح :

- المكان في شعر ابن دراج القسطلي : غيداء أحمد سعدون ، اطروحة دكتوراه ، باشراف : أ.د. نزهة جعفر الموسوي، جامعة الموصل ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية ، 2006م .
- المكان في شعر الحرب: محمد صادق جمعة ، رسالة ماجستير،باشراف : د.عبد الستار عبد الله صالح ، جامعة الموصل ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية،1425هـ-2005م.

الانترنيت :

_ مشكلة المكان في فلسفة ابن رشد : عبد العزيز لعمول ، مجلة فكر ونقد ، ع13 ، موقع : فكر ونقد الجابري fikr wanakd aljabiri abed.net